المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 05-09-2006 العـــدد : 13952
الصفحـات : 8 المسلسل : 49

الصحوة اللبنانية

منح الصلح

لاشك في أن لبنان الدولة والمجتمع كان محقاً وبريئاً من أي حساسية مرضية أو عدوانية إزاء أي قريب أو بعيد عندما أخذ يتحدث ولايزال عن استقلاله وسيادته على أرضه وكون الدولة فيه صاحبة حق أن تكون كاملة الاطمئنان والشعور بالقدرة والحرية على اتخاذ القرار الذي تشاء على أرضها

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 05-09-2006 العـــدد : 13952
الصفحـات : 8 المسلسل : 49

■ أزمة العلاقات اللبنانية السورية وبالأخص جدلية الدولة والمقاومة في جنوب لبنان أطلقت وعياً وحساسية في المنطقة العربية وحرصاً من قبل جميع المعنيين قادة عرباً ومفكرين وشعوباً على أن لا تأتي المعالجات وردود الفعل والمواقف على حساب المصلحة العربية العليا.

ظهر الحرص هذا بصورة خاصة في المملكة العربية السعودية وعند خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بالذات ومسؤولي المملكة حيث انعكس بوضوح الحذر من أن تصاب الهوية العربية الجامعة بالأذى أو التمييع نتيجة العقد والصعوبات والإشكاليات الخطرة لطروحات الحلول على الحدود.

وقد جاء واضحاً بقدر ما كان متوقعاً الاحساس المرهف لدى المملكة بناحية محددة هي الحاجة إلى إعداد دراسات معمقة تتعلق بحماية الهوية العربية المهددة بالتغير في احتمالات الوضع العربي وخاصة التداعيات الخطرة لحجم ما حصل على الحدود والمناطق اللبنانية المحاذية لإسرائيل وردود الفعل والطروحات المقترحة لمواجهة الواقع الذي أفرزه الاحتلال الإسرائيلي البشع على الأرض اللبنانية.

إن فظاعة القرار الإسرائيلي والاحتلال الأرضي من جهة والواقع الذي خلقه على الأرض وحجم نتائجه وردود الفعل عليه في الجنوب اللبناني ولبنان والعالم العربي والمجتمع الدولي تشرح بوضوح خطورة التجرؤ الإسرائيلي على لبنان وواقعه العربي والدولي وكون هذا التجرؤ فريداً في بابه مثيراً في تحديه للبنان والمنطقة بكاملها فضلاً عن الصدى العالمي والآثار التي يتركها في المنطقة والتي استوجبت رداً كان لابد من أن يكون من نوع خاص قليل السابقة كزلزال سياسي يتداخل فيه المحلي بالعربي بالدولي مستفزاً بالأسئلة التي تطرح نفسها كأجوبة مبتكرة ومفتعلة بالضرورة إن في المجال اللبناني أو العربي أو الدولي، وهكذا يطل معاً كتحديات صعبة المواجهة الواقع اللبناني المخترق والالتزام القومي العربي مع التدليل الدولي الخطر والمعروف للعدو الإسرائيلي طارحاً التساؤلات حول الحد المأمون في التعامل مع واقع جديد بكل معنى الكلمة وكأنه يفرض على لبنان أن يستجير من عدو بآخر دولياً فاضح لم يثبت في الماضي أنه يراعي أحداً عندما تكون لإسرائيل مصلحة.

إن اللبنانيين لفي حرج إذ يستجيرون من عدو بآخر صديق لم تثبت الأيام ان صداقته من النوع المضمون الذي يراعي مصلحة لبنانية عربية على حساب إسرائيل أو رواسب التراث الاستعماري عند الدول الغربية.

لاشك في أن لبنان الدولة والمجتمع كان محقاً وبريئاً من أي حساسية مرضية أو عدوانية إزاء أي قريب أو بعيد عندما أخذ يتحدث ولايزال عن استقلاله وسيادته على أرضه وكون الدولة فيه صاحبة حق أن تكون كاملة الاطمئنان والشعور بالقدرة والحرية على اتخاذ القرار الذي تشاء على أرضها وكل يوم يكتشف اللبنانيون جدد أنه لا يكفي لردع إسرائيل أن تكون بمحاذاتها من الطرف الآخر تنظيمات شعبية مقاومة بالغة ما بلغت من الجدية والمستوى كالمقاومة الإسلامية الحالية. بل لابد أيضاً وخصوصاً أن يكون هناك وجود قوي للدولة اللبنانية كدولة وهذا ما لم يكن واقعاً منذ زمن غير قصير لتستفيق الدولة مؤخراً كما هي الآن على مسؤولياتها بينما العدو الصهيوني واقع قائم على الأرض بوجود المقاومة وبغير وجودها.

ومن حق رئيس الحكومة اللبنانية الحالي فؤاد السنيورة ان يقرّ له اللبنانيون والعرب أنه يواجه بشجاعة وحس بالمسؤولية حالة تخل واقعي بل شبه رسمي عن الجنوب كانت قدّ مارسته الحكومات اللبنانية المتعاقبة بل وكرّسه العرب وغيرهم دون أي شعور قوي أو قليل بالتقصير.

لكأن لبنان بالهم الجديد الذي يدخل دولته متقدم على بعض الجوار العربي الممسك واقعاً مسؤولوه بحكم الفراغ اللبناني بالجنوب وغير الجنوب.

فجأة وجدت الدولة اللبنانية في مرحلتها الجديدة انها مضطرة عملياً إلى ربط نزاع سافر أو ضمني، لا مع جهة واحدة بل مع عدة جهات بمن فيهم المقاومة مالئة فراغ السلطة بإرادة أو غير إرادة وبمن فيهم سوريا وجهات عربية وغير عربية صادقة الرغبة مبدئياً في تقديم العون للبنان وغير عارفة غالباً متى وكيف.

ولأن الحكم اللبناني الحالي، وليد ١٤ آذار عارف وصادق وصاحب غيرة على مصلحة وطنه ومصلحة مالئي فراغ السلطة من مقاومة وغير مقاومة وجد نفسه هو المؤمن بلبنان الحرّ والعربي، وبالمقاومة، متهماً أو كالمتهم بأنه يعمل لصالح دولة لبنانية تريد أن تنتزع من المقاومة حقوقها وصلاحيتها، وكذلك من سوريا وربما غيرها أيضاً امتيازات مكرّسة لهذه الجهات، ولولا الصحوة التي يعيشها اللبنانيون الآن كما لم يعيشوها في أي وقت مضى، لنجح تصوير الحكومة القائمة والمسؤولين اللبنانيين الصادقين، وفي طليعتهم رئيس المجلس النيابي نبيه بري، بل وكل لبناني راغب بدولة ديمقراطية حقيقية وكل مقاوم لإسرائيل عارف ماذا يفعل، وكل مناصر للنهضة العربية بأنه معطل للمسيرة.

ما من يوم كانت فيه الصعوبات وماتزال منتصبة ومعقدة أمام الحاكم اللبناني على يد القريب والبعيد كما هي الآن في لبنان وذلك لكثرة المتضررين لا من ولادة لبنان الدولة فقط بل من ولادة المقاومة القادرة بالوعي والمسؤولية على مواجهة إسرائيل وظروف وطنها في الوقت نفسه.

وليس المتضررون فعلاً وحدهم هم المتصدون الآن لعرقلة ولادة الدولة اللبنانية الجديدة، بل الواهمون والمغرر بهم أيضاً من لبنانيين وغير لبنانيين الذين يقال لهم ان للحكومة اللبنانية هموماً وربما برنامجاً غير الديمقراطية الحقة والمقاومة الحقة ومعهما العروبة الناصعة.

إن المشروع الحقيقي الذي قد يريده بعض المتضررين المتخوفين من قيامه هو المضي في الحالة السابقة للانتفاضة إلى حيث لم يكن ايمان بدولة تكون ديمقراطية وعربية وتكون مقاومة معاً. ولبنان تجربة في أن يكون مقاومة ودولة وديموقراطية في اطار واحد ولعل من الصفحات البيضاء المجهولة في تاريخه أن الدبلوماسية اللبنانية في واشنطن ممثلة بالسفير اللبناني المرحوم جورج حكيم منتصف القرن الماضي هي التي نجحت في ادراج الصهيونية كعدو لحقوق الإنسان جنباً إلى جنب مع الاستعمار والتمييز العنصري، مما جاء في زمانه ثورة في مفهوم حقوق الإنسان.

إن لبنان يمر في فترة ممنوع فيها الخطأ، فهو لا يريد استمرار الحالة التي كان فيها قبل الحرب لكنه لا يريد أيضاً الخروج لا من ذاته الوطنية ولا من عروبته ولا من حقوق طوائفه جميعاً عليه ولذلك هو لجأ إلى المراجع الدولية بصفتها ضميراً وحرصاً على القواعد المدنية والإنسانية في حياة المجتمعات. لقد كان لبنان ولايزال يعتبر نفسه نقيضاً لإسرئيل يجسد عكس ما تجسد لعداء للمنطقة العربية وغربة عنها.

وأهمية دورن أنان أنه برهن قبل زيارته وبعدها أنه يصدر عن تفهم لما «لا يريد» لبنان وليس لما «يريده» فقط.

إن لبنان ما كان ولن يكون الخاصرة الرخوة لعروبة المنطقة بل الوطن النموذجي المستقل داخل هذه العروبة. واذا كان هو لم يقبل ولن يقبل استئثار أحد به باسم المقاومة أو غيرها فإنه يفعل ذلك حرصاً على استقلاله وسيادته وتقدميته ولبنانيته وعروبته في الوقت نفسه.

هذا هو المقياس الذي حمله ويحمله سوءاً في وجه من هو داخله أو هو خارجه فضلاً عمّن هو عدوه وعدو النهضة العربية انه كما قال منذ بدأ استقلاله وطن عربي يستسيغ الخير النافع من حضارة الغرب، عصي على كل من يريد الاستئثار سواءً من خارجه أو داخله، والمفتاح السحري الذي يملكه الأمين العام للأمم المتحدة هو معرفته بهذه الحقائق وتعهده للعمل بها.